(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الرابع للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 7-8 نيسان 2025 /القسم الرابع, الصفحات 126-135

مفهوم النص القرآني عند محمد أركون (قراءة في المنهج)

م.د. منتظر فاضل طاهر [1]*

م.د. عبدالله علي هاشم [1]*

[1]كلية الإمام الكاظم، ذي قار، العراق

الملخص

يبحث هذا العمل في إشكالية قراءة النص القرآني وفق مناهج حديثة، بتأثير من التجربة الغربية مع النصوص المقدسة, ويركّز على مشروع محمد أركون كنموذج لهذا الاتجاه، محللًا رؤيته للنص القرآني ومناهجه في تأويله، وأثره في الفكر المعاصر, وإذ يرى محمد أركون أن القرآن الكريم مرّ بأربع مراحل: من اللوح المحفوظ، إلى الخطاب الشفهي، ثم التدوين في "المصحف"، وأخيرًا التفسير الكلاسيكي, ويركّز على الطابع الشفهي الأصلي للقرآن، ويشكّك في اكتمال النص المدون بسبب ظروف التدوين السياسية, ويُطلق على القرآن تسميات مثل "المدونة النصية" و"الرسمية المغلقة" بدل "القرآن الكريم", ويعتقد أن التدوين تضمّن حذفًا وانتقاءً وتأثّرًا بالسلطة، مما يستوجب مراجعة تاريخية نقدية, ولهذا يستعمل مصطلح "الظاهرة القرآنية" لدراسة النص بعيدًا عن قدسيته اللاهوتية.

الكلمات المفتاحية: النص القرآني، اركون، المنهج.

The Concept of the Qur'anic Text According to Mohammed Arkoun (A Methodological Reading)

Asst. Dr. Montadhar Fadhel Tahir[1*]

Asst. Dr. Abdullah Ali Hashem[1*]

[1]Al-Imam Al-Kadhim College, Dhi Qar, Iraq

Abstract:

This study explores the problem of reading the Qur'anic text through modern methodologies, influenced by the Western experience with sacred texts. It focuses on the project of Mohammed Arkoun as a representative model of this approach, analyzing his conception of the Qur'anic text, his interpretive methods, and the impact of his ideas on contemporary thought. Arkoun views the Qur'an as passing through four stages: from the Preserved Tablet, to the oral discourse, then to its compilation in the “Mushaf,” and finally to classical interpretation. He emphasizes the Qur'an’s original oral nature and questions the completeness of the written text due to the political context of its compilation. Arkoun uses terms such as “textual corpus” and “closed official codex” instead of “the Holy Qur'an,” arguing that the process of writing involved omission, selection, and political influence. Hence, he calls for a critical historical re-evaluation and adopts the term “Qur'anic phenomenon” to study the text apart from its theological sanctity.

Keywords: Qur'anic Text, Arkoun, Methodology.

Email Address: m6418740@gmail.com

المقدمة:

تنحو هذه الدراسة إلى مقاربة واحدة من أبرز الإشكاليات الفكرية المعاصرة، وهي إشكالية التعامل مع النصّ القرآني في ضوء متغيّرات العصر الحديث. فقد ظهرت في الأزمنة المعاصرة دعوات متعدّدة لإعادة تفسير القرآن الكريم وفق مناهج حديثة، استجابة لما يُفترض أنّه تحوّل في آليات الفهم، وتغيّر في طبيعة المخاطَبين، وتبدّل في الاهتمامات والمفاهيم التي تشغل الإنسان المعاصر، مقارنةً بالبيئة التاريخية التي نزل فيها النصّ.

وقد تبنّى هذه الدعوة في بداياتها عدد من المستشرقين، ثم التقطها تيار الحداثة العربية وراح ينظّر لها من منطلق أن النص لم يعُد قادرًا – بقراءته التقليدية – على تلبية حاجات الإنسان الراهن، وأنه لا بد من تجديد أدوات القراءة وتفكيك البُنى التقليدية المنتجة للمعنى. وكانت هذه الدعوى تحمل في جوهرها مفهوماً إسقاطياً على النص القرآني، انطلق من تجربة الغرب مع نصوصه المقدسة، والتي فقدت – بفعل التحريف – صفة القداسة، فتعامل معها العقل الغربي بوصفها نصوصًا بشرية تخضع للنقد وإعادة القراءة.

وقد انتقلت هذه الرؤية إلى بعض مفكري العالم الإسلامي، ممن حاولوا تطبيق المناهج الغربية الحديثة – كالتفكيك والأركيولوجيا والتحليل الخطابي – على النصّ الديني، وبشكل خاص على النص القرآني، من دون التفات إلى اختلاف الطبيعة البنيوية والوظيفية بين النص القرآني وسائر النصوص الدينية الأخرى.

وفي هذا السياق، تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على واحد من أبرز المشاريع الفكرية التي مثّلت هذا الاتجاه في الفكر العربي المعاصر، وهو مشروع المفكر محمد أركون، لما لهذا المشروع من أثر واسع في الأوساط الفكرية والنقدية والإعلامية، ولتصدّره واجهة التنظير لتطبيق المناهج الحديثة في قراءة النص القرآني.

وعليه، يهدف هذا البحث إلى بيان أهم السمات الفكرية والمنهجية لمشروع أركون، مع الوقوف على مفهومه للنص، وتحليل آليات تعامله مع القرآن الكريم ضمن رؤيته الهرمنيوطيقية الحديثة.

المبحث الأول: مشروع محمد أركون وسماته

المطلب الأول: مشروع محمد أركون

عرفت إشكالية قراءة القرآن الكريم في الفترة المعاصرة المتأخرة - النصف الثاني من القرن العشرين - منعرجا حاسما، ارتبط بالثورة على كل القراءات الكلاسيكية التأسيسية ، يتبلور ما أصبح يعرف عند الكثيرين بالقراءات الحداثية أو الفلسفية المعاصرة للقرآن الكريم، وهي تلك التي حاولت تحديد فهم القرآن الكريم وتحديد آليات فهمه في الوقت نفسه، بتجاوز الآليات الكلاسيكية في فهمه مستعينة بمنجزات العلوم الإنسانية والاجتماعية ومناهج النقد المتأخرة في فهم وقراءة النصوص ونقلها إلى النص القرآني، معبرة عن قفزة نوعية في قراءته وفهمه، تطرح وتفهم في ظلها جوهر إشكالية العلاقة بين النص القرآني وآليات الفهم المعاصر[1].

فمن ضمن تلك المشاريع التي جاوزت الآليات الكلاسيكية مستعينة بمنجزات الغرب مشروع الجزائري محمد أركون الذي بدأ مشروعه النقدي يتبلور في نهاية العقد السادس من القرن الماضي، عندما صدر كتابه «محاولات في الفكر الإسلامي عام

١٩٧٣ واشتمل على عدة دراسات حول الفكر الإسلامي الكلاسيكي، ثم عندما نشر كتابه «قراءات في القرآن» عام ١٩٨٢ واتضح المشروع وملامحه عندما أصدر كتاب « نقد العقل الإسلامي» ويتلخص مشروع «أركون» النقدي في الكشف التاريخي عن النظام الفكري العميق الذي يحكم التصورات الإسلامية. ويعتمد مشروعه على تطبيق الأدوات والمفاهيم النقدية الغربية المعاصرة على الدين والتراث والإسلامي، والغاية التي يهدف إليها عبر مشروعه هي: إعادة صياغة التراث الإسلامي بصورة تسمح باندماج المسلم المعاصر في فضاءات الحداثة الغربية. ويعتبر «أركون» أحد أبرز وجوه الفكر الإسلامي المعاصر، إذ وظف مشروعه الفكري الكبير، في البحث والتنقيب الظاهرة الإسلامية المصنفة ضمن الظواهر غير المفكر فيها، كما أن مشروعه يمثل اختبارا نقديا للفكر وظفه في فهم جدلية الواقع الإسلامي في أبعاده المختلفة، الفلسفية والأنثروبولوجية والسوسيولوجية، وهو منهج للنقد والتمحيص المستند إلى علوم الإنسان والمجتمع وقد طلق عليها أركون على مشروعه العلمي تسمية «الإسلاميات التطبيقية»[2].

فالإسلاميات التطبيقية هي عبارة عن ممارسة علمية جديدة ومتعددة الاختصاصات، تتكئ على ثلة من المعارف المرتبطة بحقول معرفية متباينة، بغية تحليل الخطاب الديني، وتفكيكه، ثم إعادة تركيبه وفق رؤية تاريخية وأنتروبولوجية، وسوسيولوجية، تروم إخراج الظاهرة الدينية من حالة الجمود التي أضفاها عليها العقل الأرثوذوكسي الدوغمائي، ثم إعادة موضعتها داخل التاريخ ومساره مما يؤكد أن الإسلاميات التطبيقية بهذا المعنى: هي مشروع فكري ذو طموح منهجي متعدد، يقترحه علينا أركون لإعادة قراءة التراث الإسلامي قراءة علمية، بما في ذلك: القرآن، والحديث، والسيرة النبوية، والنصوص المفسرة الكبرى))[3] فلقد جاءت الإسلاميات التطبيقية بديلاً ، عن الدراسات الاستشراقية التقليدية التي أطلق عليها أركون اسم الإسلاميات الكلاسيكية) إذ يعرفها على إنها كل خطاب غربي عقلاني حول الإسلام[4].

ويذكر محمد أركون مجموعة من الأهداف الخاصة بمشروعه الإسلاميات التطبيقية) يمكن

تلخيصها بما يلي[5]:

١- دراسة الإسلام ضمن منظورين متكاملين

أ- كفعالية علمية داخلية للفكر الإسلامي.

ب - كفعالية علمية متضامنة مع الفكر المعاصر كله [6].

٢- استبدال البحث العلمي المتضامن بمناخ اللائقة والتشهير المتبادل[7].

٢- خلق الظروف الملائمة لممارسة فكر إسلامي محرر من المحرمات العتيقة

والميثولوجيات البالية، ومحرر من الايديولوجيات الناشئة حديثاً [8].

- إعادة دمج ما كان قد اعتبر معطى الوحي أو الوحي الذي تلقى صياغة مشتقة ومتماسكة

على يد علم اللاهوت.

وهو يقصد بالإسلاميات التطبيقية: تطبيق منهجيات العلوم الإنسانية ومصطلحاتها على

دراسة الإسلام عبر مراحل تاريخه الطويل

وأما أهم المفاهيم المفتاحية للمشروع الاركوني:

1- . مفهوم اللامفكر فيه: أخذ هذا المفهوم من الفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو" عندما أصدر كتابه: "الكلمات والأشياء" عام ١٩٦٦م ليوظفه في المنهجية الجديدة ، وهو يرى أن ما لم يفكر فيه الفكر الإسلامي أهم وأجل شأنا مما قد فكر فيه، ومهمة أركون اليوم كمجدد للفكر الإسلامي أن يفتح تلك القارة الواسعة من اللامفكر فيه، والتي بقيت مغلقة زمنا طويلا، إن اللامفكر فيه ليس إلا تراكما للمستحيل التفكير فيه[9].

2- العقل الاستطلاعي (الاستكشافي أو المنبثق) وهو عقل يؤسس لحداثة جديدة أساسها النقد بحيث تتجاوز الحداثة المعاصرة والانتقادات الموجهة لها ما بعد الحداثة)، وتترك المجال في الوقت نفس وللإمكانات الهائلة للعقل النقدي حتى يقوم بوظيفته الفلسفية من أجل تحرير الكائن البشري من كل الترهات والتصورات الخرافية التي التزيد الحياة لإنسانية سوى تقهقرا [10].

3- الرأسمال الرسمي: كما اعتمد أركون مفهوم الرأسمال الرمزي ، ويعني تحول القيم الثقافية والرمزية إلى فعل اجتماعي وسياسي ، والمقصود بالمصطلح هنا من خلال سياق أركون الإسلام في مرحلته الأولى عندما كان لا يزال منفتحا على المطلق.... لكنه فيما بعد تحول إلى شعائر وطقوس وقوانين قسرية والكراهية كما حصل لبقية الأديان وحصل كل ذلك على يد الفقهاء ومؤسسي المذاهب الأرثودكسية بمختلف أنواعها[11].

المطلب الثاني: سمات القراءة الاركونية

امتاز المشروع الاركوني بعدة السمات منها:

أولاً: نقد العقل الإسلامي

أعرض محمد أركون عن قراءة النصوص التأسيسية للديانات التوحيدية التوراة والإنجيل والقرآن بالطريقة التقليدية، ليقرأها بطريقة حديثة نظراً لما تحمله هذه الطرق من روح نقدية وتحليلية ، يقول في كتابه قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم): ((عندما أدعو إلى نقد العقل الإسلامي كما يبادر آخرون إلى نقد العقل السياسي، أو العقل الشرعي أو العقل الجدلي، أو العقل اللاهوتي أو العقل الأخلاقي... فإنّما أهدف إلى استكشاف كل ما يتحكم بنشاط العقل ونتائجه من عوامل متفاعلة وقوى متصارعة وأهواء متضادة وتوترات داخل الذات أو خارجية عنها))[12].

ثانياً: **تعدد المنهجي**

ان تعدد المنهاج هو الذي يشكل اهم ميزة في المشروع الاركوني ، وسبب يعود ان محمد أركون استقى من مدارس متنوعة ومتعددة إلى حد الخلط المناهجي [13] ، فهو لم يلتزم في تعامله مع النصوص بمنهج واحد ، بل كان طرحه عبارة عن هجين مناهجي ، مكون من عدة مناهج ، إذ لم يلتزم بمنهج واحد خاص لنعرف من خلاله توجهاته.

ثالثاً: **القطعية المعرفية الاركونية**

ان محمد اركون بدأ مشروع القطيعة الخاص به بنقد العقل ليصل إلى نقد القرآن مروراً بنقد التراث، وقد آمن إيماناً لا رجعة فيه بضرورة أعادة قراءة التراث، وهو ما أكده في أكثر من موقع فالمسلمون عنده لا يمكن أن يتحرروا فعلاً إلا إذا قاموا بنقد تراثهم ، ومن أفكار القطيعة ؛ إتهام الفكر العربي بالبعد عن الواقع ، إلى إماتة العقول وإسباتها، وكأن الفرد العربي ليس إنساناً، بل لا إنسان إلا الفرد الغربي المادي البعيد عن الله تعالى[14].

رابعاً: انسنة النص

اقترن ظهور الأنسنة أو المذهب الإنساني بشكل عام، بحركة الإصلاح الديني وعصر النهضة في أوربا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وكان التحول في تلك الفترة من الدين إلى العلم، ومن الله إلى الإنسان، ومن الماضي إلى الحاضر والمستقبل. ومن أهم الأمور التي اهتم بها الإصلاح الديني في القرن السادس عشر هو الاعتراف بدور العقل ومكانته في البحث الحر، وزعزعة السلطة العقائدية التي كانت تمارسها الكنيسة ، كما تم رفض فكرة التوسط بين الله والإنسان. وجعل علاقة الإنسان بالله مباشرة كما تم رفض احتكار تفسير الكتاب المقدس، وإعلان حرية الإيمان[15].

وتعتبر العقلانية جوهر الانسنة ، حيث يمثل العقل المرجعية المعرفية الوحيدة في إدراك العالم الطبيعي والاجتماعي، تجعل الإنسان هدفها الأول والأخير، عندما تخلصه من كل أشكال المرجعيات الدينية الأخرى. لقد بات الإنسان مصدر المعرفة ومرجعها الأول بدل النص المقدس، عن طريق العقل[16].

المبحث الثاني: منهج محمد أركون في فهم النص القرآني

المطلب الأول: منهج محمد أركون

لقد اعتمد محمد أركون على عدة مناهج في قراءة النص القرآني مرتكزاً إلى الاستعانة بترسانة العلوم الإنسانية الحديثة كاللسانيات وعلم الاجتماع والانتروبولوجيا وغيرها، والانفتاح على مناهج النقد المعاصر كالمنهج اللساني والسيميائي والبنيوي ويعلن أركون في أحد مؤلفاته تنبيه للمناهج المعاصرة بقوله: ((لقد شرعت في تطبيق إشكاليات ومناهج اللسانيات والسيميائيات لتحليل الخطاب القرآني منذ أوائل السبعينيات من القرن الماضي. ونشرت عام ١٩٧٠ البحث الأول بعنوان " كيف نقرأ القرآن " كمقدمة لترجمة كزيمرسكي للقرآن))[17].

وان ثمة ثلاث محطات في قراءة النص القرآني - حسب محمد أركون - ((القراءة التاريخية الانتروبولوجية ، القراءة الألسنية السيميائية ، القراءة اللاهوتية - التفسيرية. ومن الناحية المنهجية يجب القول بأن القراءة اللاهوتية التفسيرية لا ينبغي أن تحصل إلا بعد إجراء القراءتين الأوليين))[18] فيمكن الوقوف على تلك القراءات أو المناهج التي رسمت مشروع أركون في فهم النص القرآني:

1 - المنهج التاريخي: لعل المنهج الأساس الذي اعتمده أركون في مشروعه الفكري هو المنهج التاريخي، متأثرا بالمدرسة الحولية الفرنسية التي تولي أهمية للبعد التاريخي في تشكل الأنظمة المعرفية، بحيث لا يمكن تفسير الإنتاجات البشرية خارج تاريخيتها، أي في إطار تطورها وتشكلها عبر التاريخ ، ووظفه من خلال محاولة قراءة النص القرآني وتاريخيته[19]، فالتاريخية هي إخضاع النص القرآني للقراءة بوصفه نصاً بشرياً أو بوصفه نصاً الإلهياً محكوماً بسقف التاريخ والثقافة ، وتفريغ النص الديني من مفاهيم العالمية والاطلاقية ونزع صفة الخلود والصلاحية لكل زمان ومكان عنه ، وذلك بغية الالتفاف على حقيقة كونية القرآن في ظل إحالته إلى التاريخ والنظر إليه بوصفه نصاً تاريخياً محكوم بشروط تاريخية وظرفية يزول بزوالها[20].

٢- المنهج الانتربولوجي: لا يكتفي أركون بتطبيق المنهج التاريخي على الإسلام والتراث العربي الإسلامي، بل يضيف إلى ذلك تطبيق المنهج الأنتربولوجي من أجل فتح ورشات عمل جديدة للتحليل والتأويل، فيجترح لنفسه إتباع منهجية أنتربولوجية مختلفة عن المنهجية التقليدية في علم التاريخ ، فالقراءة الأنتروبولوجية للتراث العربي الإسلامي هي قراءة شاملة، كما أها تقوم على المقارنة مع بقية التراثات الدينية والثقافية الأخرى في الماضي والحاضر، وهذا ما يفسر لنا إلحاح

أركون على دراسة العلم الأنتربولوجي وتدريسه[21]، (فهو الذي يخرج العقل من التفكير داخل "السياج الدوغمائي المغلق" إلى التفكير على مستوى أوسع بكثير: اي على مستوى مصالح الانسان، اي انسان كان وفي كل مكان. كما أن العلم الأنتربولوجي يعلمنا كيفية التعامل مع الثقافات الأخرى بروح منفتحة متفهمة

وضرورة تفضيل المعنى على القوة أو السلطة، ثم تفضيل السلم على العنف، والمعرفة المنيرة على الجهل المؤسس أو المؤسساتي))[22]ويضيف أركون إلى هذه الوظائف المنوطة بالعلم الأنتربولوجي أنه يمارس عمله كنقد تفكيكي، وعلى صعيد معرفي، لجميع الثقافات البشرية المعروفة, إنه يمارس عمله هذا بعيدا عن التأويلات التاريخانية الأيديولوجية، ولهذا يراهن عليه أركون كثيرا في إعادة قراءة القرآن والفكر العربي الإسلامي، قراءة نقدية جديدة.

- المنهج السيميائي والالسني: يقصد أركون بالقراءة السيميائية - الألسنية للنص القرآني، تلك التي تهدف إلى فهم اللحظة اللغوية التي تبلور فيها النص القرآني من حيث مكوناتها ودورها في تشكل الدلالات ، والتي تتضمن آليتين أو منهجين هما: الألسني والسيميائي، الذين بدأ الاشتغال هما في الفترة المتأخرة من القرن العشرين أي بعد استفادته من التطور الحاصل في مناهج النقد الأدبي، الذي عرف ازدهارا كبيرا في النصف الثاني من القرن العشرين[23]، يقول: ((لقد شرعت في تطبيق إشكاليات ومناهج اللسانيات والسيميائيات لتحليل الخطاب القرآني منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي))[24]يصرح "أركون" أن القراءة الالسنية - السميائية للنص القرآني ، تهدف إلى ((إبراز الصفات اللسانية واللغوية وآلات العرض والاستقلال والإقناع والتبليغ والمقاصد المعنوية الخاصة بما أسميته الخطاب النبوي))[25] تلك التي تهدف إلى تحرير القرآن الكرم من هالة القداسة وسياج الإيديولوجيا واحتكار النص، حسب ما تقدمه هاتين القراءتين له.

فتلك ابرز الآليات المنهجية التي اثيرت جدلاً حول استخدامها وتطبيقها على النص القرآني ، والسبب يعود إلى خصوصية النص القرآني وطبيعته المقدسة التي تختلف عن باقي النصوص وخاصة النص الأدبي.

المطلب الثاني: مفهوم النص القرآني عند محمد أركون

تؤكد بعض القراءات الحداثية على الطابع الشفوي للنص القرآني، إذ لا يصح في اعتقادهم إطلاق مصطلح (قرآن) إلا على الرسالة الشفوية التي بلغها النبي (ص) إلى معاصريه، كما أنهم يثيرون الشكوك حول المصحف، لكونه دوّن في فترة متأخرة عن فترة النبوة استبعدوا فيها عدم وقوع الوضع والاضطراب ، فيذهب محمد اركون إلى((أن لفظ القرآن في اللغة العربية مصدر للفعل قرأ، وفي القرآن نفسه نجد أن جذر المادة اللغوية قرأ يدل بالأحرى على معنى التلاوة، وذلك لأنه لا يفترض مسبقاً وجود نص مكتوب أثناء التلفظ به للمرة الأولى من قبل محمد))[26] ، ومعنى ذلك إن دلالة المعجمية للقرآن تنحصر فقط عند التلاوة ، إلا انه ورد في لسان العرب ، أن ((معنى القرآن الجمع، وسمي قراناً ، لأنه يجمع السور فيضمها... وقرأت الكتاب قراءة وقراناً، ومنه سمي القرآن))[27]، ومعنى ذلك ان لفظة القرآن تفيد معنى الجمع وايضاً النص المكتوب والقابل للقراءة.

ويعرف أركون القرآن من الناحية الشكلية بقوله: ((من الناحية الألسنة اللغوية يمكن القول بأن القرآن عبارة عن مدونة منتهية ومفتوحة من العبارات أو المنطوقات المكتوبة باللغة العربية، وهي مدونة لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق النص الذي كتب حرفيا أو كتابيا بعد القرن الرابع الهجري والعاشر ميلادي))[28],ويقول أن القرآن ((مجموعة محدودة، ومفتوحة من نصوص باللغة العربية يمكن أن نصل إليها ماثلة في النص المثبت إملائيا بعد القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، فإن جملة النص المثبت على هذا المنوال نهضت بأن واحد بوظيفته أثر مكتوب وكلام تعبدي))[29].

وان المصحف حسب أركون هو عبارة عن مجموعة من العبارات الشفهية في البداية ولكنها دونت في ظروف تاريخية لم توضح حتى الآن، أو لم يكشف عنها النقاب، ثم رفعت هذه المدونة إلى مستوى الكتاب المقدس بواسطة العمل الجبار

والمتواصل لأجيال من الفاعلين التاريخيين، اعتبر هذا الكتاب بمثابة الحافظ للكلام المتعالي الله والذي يشكل المرجعية المطلقة الإجبارية التي ينبغي أن تتقيد بها كل أعمال المؤمنين وتصرفاتهم وأفكارهم))[30].

فأن نظرة أركون إلى القرآن الكريم على انه مرّ بأربعة مراحل أو مستويات

1) مرحلة وجوده في اللوح المحفوظ.
2) مرحلة تحول هذا النص المكتوب في اللوح المحفوظ إلى خطاب قرآني عبر جبريل عليه ومن ثم محمد
3) مرحلة إعادة هذا الخطاب القرآني الشفهي إلى نص مكتوب، أي تدوين القرآن الكريم في عهد عثمان وهو ما يسميه المسلمون "المصحف ويسميه هو المدوّنة النصية الرسمية التاجرة والمغلقة)).
4) مرحلة تحول النص المكتوب إلى مجموعات التفسير الكلاسيكي[31].

يرى أركون وفق هذا التقسيم أن التمييز اللساني بين الشفهي والكتابي وبين النص والخطاب ذو أهمية بالغة خاصة إذا استثمرت هذه المفاهيم في الحقل القرآني، ولذلك يذهب إلى تسمية القرآن الكريم بالخطاب القرآني والخطاب النبوي على اعتبار أنه يفرق بين القرآن في المرحلة الشفوية أو مرحلة النبوة وبين القرآن بعد التدوين وذلك أن أركون يشكك في صحة القرآن (المدونة النصية) المدعوة بالمصحف لأن جمع القرآن قد تم في مناخ سياسي شديد الهيجان حيث استبعدت فيه النسخ الجزئية الأخرى لكي لا تغذي الانشقاق والاختلاف حول صحة الآيات والسور المثبتة في المصحف المذكور[32] ، فيقول: ((دونت كتابة ضمن ظروف تاريخية لم توضح حتى الآن أو لم يكشف عنها النقاب ، ثم رفعت هذه المدونة إلى مستوى الكتاب المقدس بواسطة العمل الجبار والمتواصل لأجيال من الفاعلين التاريخيين ، واعتبر هذا الكتاب بمثابة الحافظ لكلام المتعالي الله والذي يشكل المرجعية المطلقة والإجبارية التي ينبغي أن تتقيد بها كل أعمال المؤمنين وتصرفاتهم وأفكارهم))[33]وعلى هذا الأساس وإيماناً منه على أن القرآن الكريم أحدث فيه((ان الانتقال من مرحلة الخطاب الشفهي إلى مرحلة المدونة النصية الرسمية المغلقة ، لم يتم الا بعد حصول الكثير من عمليات الحذف والانتخاب والتلاعبات اللغوية التي تحصل دائما في مثل هذه الحالات ، فليس كل الخطاب الشفهي يدون ، وإنما هناك أشياء تفقد أثناء الطريق))[34].

في ضوء ذلك يرى ان النص القرآني ناقص غير مكتمل كون جمع القرآن وتدوينه تم في مناخ سياسي شديد الهيجان.

وعليه من الأسماء التي أطلقها محمد أركون على النص القرآني:

١. المدونة النصية: ((في علم الألسنيات هي مجموعة من العبارات الشفهية اللغوية التي جمعت لكي تشكل وحدة ما (مصحف، في حالة الإسلام). وهذه الوحدة المتجمعة ترغب في أن تشمل كل العبارات النصية التي تلفظ بها المعلم (أو النبي)))[35].

2. مدونة الرسمية: هي رسمية في حالة الإسلام كما في حالة المسيحية أو اليهودية... نعني أنها واقعة تحت سيطرة السلطة؛ أي سلطة الخليفة في حالة الإسلام. ويقول لنا التراث الإسلامي بأن الخليفة الثالث عثمان قد أمر بجمع مجمل العبارات الشفهية (أو الآيات) المحفوظة في ذاكرة الصحابة من أجل تدوينها كتابة))[36].

3. مدونة المغلقة: ((نعني بالمغلقة هنا، أو بالسياج المغلق، أنه بعد أن تنتهي عملية الجمع المعتبرة بأنها شاملة وكلية، فإنهم يعلنون بأن المدوّنة النصية قد أصبحت مغلقة. بمعنى آخر، أنه لم يعد يحق لأي شخص في العالم أن يضيف لها أي شيء أو يجتزئ منها أي شيء))[37].

4. المدونة منتهية: أو المدونة النصية المغلقة والناجزة, يقصد أركون بالمنتهية أي أنها مغلقة بين الفاتحة والناس ولا يوجد أي خلاف بين جميع المسلمين حول طبيعة النسخة المتداولة للقرآن الكريم على اعتبار أنه أمر قد فصل فيه تاريخيا ولا رجعة فيه وذلك في مراحل تدوين المصحف لكن أركون يرى أن هذه المرحلة بحاجة إلى مراجعة تاريخية.

5. الظاهرة القرآنية: يرفض أركون تسمية "القرآن الكريم، ويعوضها بـ "الظاهرة القرآنية"، لأن كلمة "قرآن" مثقلة بالشحنات والمضامين اللاهوتية والطقوس الشعائرية، ولأنها تقف عائقا أمام المراجعة النقدية الجذرية للتراث الإسلامي وإعادة تشكليه، فاركون يتحدث عن الظاهرة القرآنية كما يتحدث عن الظواهر العلمية والاجتماعية، ويهدف من وراء ذلك إلى وضع كل التركيبات العقائدية الإسلامية وكل التحديثات اللاهوتية والتشريعية والأدبية والبلاغية والتفسيرية.. إلخ على مسافة نقدية كافية كباحث علمي.

النتائج:

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث وبهذه الكيفية والتي من خلالها قد توصلت إلى

النتائج الآتية:

1- يُعد الباحث الجزائري محمد أركون من أبرز المفكرين العرب المعاصرين؛ الذين راموا تحديث المنهج والرؤية في دراسة الموروث الديني، من خلال ما كتب على امتداد حياته.

٢- يتبنى محمد أركون مشروع الحداثة الغربية منهجاً وتاريخاً ويرتضي ذلك حلا لخروج الفكر الإسلامي من حالة الجمود والركود التي يعيشها وذلك بإنشاء قراءة حداثية جديدة للقرآن الكريم تستوعب معطيات الحداثة الغربية بكل أبعادها.

3- يقترح محمد أركون مشروع الإسلاميات التطبيقية بديلا عن آليات التفسيرية المتوارثة ، وقد انتقد أركون الاستشراق بشدة كما انتقد العقل الشرعي الأصولي، إلا أن هذا المشروع الذي ينسبه أركون لنفسه، ماهو إلا استثمار لمنتجات الحداثة الغربية في حقل الإسلاميات، وتطبيق لكل ما تنتجه المعرفة الغربية من مناهج ووسائل وعلوم على الفكر الإسلامي.

4- يفضل أركون تسمية القرآن الكريم بالخطاب النبوي أو الظاهرة القرآنية أو المدونة إيمانا منه بأن القرآن هو نص قابل لنقد شأنه بقية النصوص وكما فضل محمد أركون في مشروعه استخدام المصطلحات والمفاهيم غربية بعيده عن الفكر الإسلامي التاريخية والفكرية.

5- توظيف المناهج الحديثة في فهم النص القرآني، رغم، المساوئ التي طبعت هذه المناهج بسبب التبعية المفرطة للنموذج الحداثي الغربي وعدم مراعاة خصوصية النص القرآني.

الهوامش

([1]) ينظر: النص القرآني واليات الفهم المعاصر، حمادي هواري: ١١٤.
([2]) ينظر: قراءة نقدية في مشروع محمد أركون ، عماد الدين ابراهيم ، بحث منشور في مجلة نقد وتنوير ، العدد الأول ، ٢٠١٥م, ص ٢٩٤-٢٩٥.
([3]) الإسلاميات التطبيقية ومهام العقل الاستطلاعي، عبد المجيد خليقي، بحث منشور في مجلة الأزمنة الحديثة، ٢٠١١م، العدد ٣- 4، ص ١١١.
([4]) ينظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي: ٥١.
([5]) ينظر: القراءة الاركونية للقرآن احمد السعدي: ٧٧-٧٨

([6]) ينظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي: ٥٦.
([7]) ينظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي: ٥٤.
([8]) ينظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي: ٥٨.
([9]) ينظر: تعليق هاشم صالح من كتاب: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد: ٢٨١
([10]) ينظر: قراءة في فكر محمد أركون مخلوف بشير ، بحث منشور في مجلة الحوار الثقافي ، لعام ٢٠١٢ م ص ١٤.
([11]) ينظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي: ٩١ ، وينظر: نقد العقل الإسلامي ، محمد أركون:٥٠.
([12]) قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم ، محمد أركون:9

([13]) جدلية الايديولوجي والمعرفي ، ليث العتابي: ٤٨.
([14]) جدلية الايديولوجي والمعرفي ، ليث العتابي: ٥٥
([15]) ينظر: الانسنة والتأويل في فكر محمد أركون: ٥٦.

([16]) ينظر: نزعة الانسنة في الفكر العربي ، محمد أركون: ٦٠٨.
([17]) القرآن: من تفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، محمد أركون: ٥.
([18]) القرآن: من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: ٣٩.
([19]) ينظر: الفكر الإسلامي ، قراءة علمية ، محمد أركون: ٢١٢
([20]) ينظر: جدلية الايديولوجي والمعرفي ليث العتابي: ٤٦.
([21]) ينظر: الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون كحيل مصطفى: ٢٧٨-٢٧٧
([22]) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، محمد أركون: ٦.
([23]) الفكر الإسلامي ، قراءة علمية ، محمد أركون: ٨٨
([24]) الإسلام بين الرسالة والتاريخ ، عبد المجيد الشرفي: ٤٩
([25]) الفكر الإسلامي ، نقد واجتهاد ، محمد اركون: ٧٣
([26]) القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني، محمد أركون: ١١٤
([27]) القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني: ١١٦.
([28]) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون: ٤١
([29]) ينظر الفكر الإسلامي ، نقد واجتهاد ، محمد أركون: ٨٨.
([30]) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، محمد أركون: ٨٣.
([31]) الفكر الأصولي واستحالة التاصيل: نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ، محمد أركون: ٤١
([32]) قضايا في نقد العقل الديني: كيف يفهم الاسلام اليوم ، محمد اركون: ١٨٨-١٨٩
([33]) العلمنة والدين ، محمد أركون: ٨٥
([34]) العلمنة والدين ، محمد أركون: ٨٥
([35]) العلمنة والدين ، محمد أركون: ٨٥
([36]) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون: ٨١
([37]) ينظر: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، محمد أركون: ٢٠٠.

المصادر والمراجع

(١) القراءة الاركونية للقرآن ، احمد السعدي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، ط١ ، ٢٠١٢م. 1

(٢) أركون ونقد الفكر الإسلامي ، عبد السلام محمد البكاري والصديق محمد بو علام، منشورات الضفاف ، ط ١ ، ٢٠١٦م. 2

(٣) الإسلاميات التطبيقية ومهام العقل الاستطلاعي، عبد المجيد خليقي، بحث منشور في مجلة الأزمنة الحديثة، 3 ٢٠١١م، العدد ٣ – ٤.

(4) الانسنة والتأويل في فكر محمد أركون كحيل مصطفى منشورات الضفاف ، ط ١ ، ٢٠١١م.4

(5) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، محمد أركون مركز الانماء القومي ، المركز الثقافي العربي 5

(٦) جدلية الإيديولوجي والمعرفي ، قراءة وتحليل الجملة من أطروحات محمد أركون ، ليث العتابي ، مركز عين للدراسات 6 والبحوث المعاصرة ، ط ١ ، ١٤٣٨هـ /٢٠١٦م.

(7) العلمنة والدين ، محمد أركون ، دار الساقي ، بيروت ، ط٣، ١٩٩٦م. 7

(8) الفكر الإسلامي ، قراءة علمية، محمد اركون ترجمة هاشم صالح ، مركز انماء القومي والمركز الثقافي العربي ، ط٢ 8 ، ١٩٩٦م.

(9) الفكر الإسلامي ، نقد واجتهاد ، محمد اركون ، ترجمة هاشم صالح ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٩٣م. 9

(١٠) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت – لبنان ، ط ١، 10 ١٩٩٩م.

(١١) القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، محمد محمود كالو، دار اليمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م. 11

(١٢) القراءة الأركونية دراسة نقدية ، أحمد فاضل السعدي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي بيروت، ط١، ٢٠١٢م. 12

(١٣) قراءة في فكر محمد أركون مخلوف بشير ، بحث منشور في مجلة الحوار الثقافي ، لعام ٢٠١٢م. 13

(١٤) قراءة نقدية في مشروع محمد أركون ، عماد الدين ابراهيم ، بحث منشور في مجلة نقد وتنوير ، العدد الأول ، ٢٠١٥م. 14

(١٥) القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح بيروت، دار الطليعة، ط ١ ، ٢٠٠١م. 15

(١٦) قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم؟، محمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ، ١٩٩٨م. 16

(١٧) مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط ٢. ١٩٩٤م. 17

(١٨) من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ، محمد أركون ، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي ، ط1 ١٩٩١٠م. 18

(١٩) نزعة الأنسنة في الفكر العربي ، محمد أركون ، ت هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، طا ، ١٩٩٧م. 19

(٢٠) النص القرآني واليات الفهم المعاصر، حمادي هواري ، اطروحة دكتوراه ، جامعة وهران – كلية العلوم الاجتماعية ، ٢٠١٣م. 20

(٢١) نقد النص ، علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، ط ٤ ، ٢٠٠٥م.21